المحاضرة الخامسة:

اللسانيات التداولية

عناصر المحاضرة:

1. مقدمة

2. مفهوم التداولية

1.2. التداولية لغة

2.2. التداولية اصطلاحاً

مقدمة:

تعد التداولية مبحثاً من مباحث الدراسات اللسانية التي تطورت إبان سبعينيات القرن العرشين، تسعى إلى دراسة كيفية حدوث عملية التواصل بين الناس في ظروف مختلفة، وكيفية أنتاجهم لفعل تواصلي كلامي في موقف محدد، فهي لا تهتم باللغة كنظام وبنية، بل كموقف وتجربة لا تخلو من الفعل والإنجازية، إيماناً منها أن اللغة ليست وسيلة لوصف الواقع بل وسيلة لتغييره والتأثير فيه،وذلك لا يتأتى إلاّ بتعزيز مكانة اللغة كظاهرة واقعة خاضعة لضغوط مقامية واعتبارات غير لغوية، وكانت مراعاة هذه الاعتبارات ضرورية لما لهما من صلة بخلق الدلالات وتوجيهها بالتضافر مع المكونات الكلامية ذات الصلة بالبنى النحوية، فما هي التداولية؟ وماهي أهم مبادئها؟

1. مفهوم التداولية:

1.1. التداولية لغة:

وردت الفعل(دول) في مادة (دول) في لسان العرب بمعنى التبادل والتعاون :« ويقال تداولنا الأمر :أخذناه بالدّول ، وقالوا دواليك أي مداولة الأمر، وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل بيننا بمعنى تعاونا، فعمل هذا مرة وهذا مرة»[1]، كما دل الجذر على التحول التناقل والانتقال في قول الفيروز أبادي:«دول كذا بينهم جعله متداولاً تارة لهؤلاء تارة لهؤلاء، ويقال داول الله الأيام بين الناس أدارها وصرفها»[2]،كما ورد المصطلح في أساس البلاغة للزمخشري بنفس الدلالة في قوله:« والله يداول الأيام بين الناس، مرة لهم ومرة عليهم... والماشي يداول قدميه:يراوح بينهما، وفعلنا ذلك دواليك أي كرات بعضها في إثر بعض»[3].

---

[1] ابن منظور :لسان العرب. مادة(دول). ج11. ص252. 253.

[2] الفيروز أبادي: القاموس المحيط.تح/ يوسف الشيخ محمد البقاعي.دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.بيروت.ط 1. 2003.ص 900.

[3] الزمخشري: أساس البلاغة.تح/ محمد باسل عيون سود.دار الكتب العلمية. بيروت.د،ط. 1998. ص 303.

1. 2.التداولية اصطلاحاً:

التداولية مصطلح مؤلف من جزأين، الأول وهو التداول من الفعل تداول، وهي صيغة تفاعل التي تحمل معنى المشاركة، والجزء الثاني وهي اللاحقة (يات) والتي تشير إلى البعد المنهجي والعملي ، وعليه فالتداولية هي علم متصل بالظاهرة اللسانية ، أما من ناحية المصطلح فقد عرف مصطلح البراغماتية أو «التداولية» مدلولات عديدة ،فقد أخذ مصطلح pragmatique من الأصل اليوناني"pragma" الذي يعني العمل "action" ومنه اشتقت الصفة اليونانية pragmatikos " التي «تحيل على كل ما يتعلق بمعاني العمل action [4]».

وقد استعمل المصطلح لأول مرة خلال القرون الوسطى في فرنسا في مجال الدراسات القانونية، وابتداء من القرن السابع عشر الميلادي انتقل المصطلح إلى الميدان العلمي فصارت لفظة "pragmatique" تعني «كل بحث أو اكتشاف من شأنه أن يعرِّف أو يفضي إلى تطبيقات ذات ثمار علمية» [5]، لذلك فقد أطلق هذا النعت " c'est un pragmatique" لوصف شخص ما ،له القدرة على إيجاد حلول عملية وحقيقية لمشكل ما.

هذا ويعتبر التعريف الذي قدمه" موريو" سنة 1938 «أقدم تعريف للبراغماتية إذ أن التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات»[6]، في الوقت الذي نظر فيها " فرانسيس جاك" إليها كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في آن واحد .

---

[4] الطاهر لوصيف :(التداولية اللسانية) .مجلة اللغة والأدب . جامعة الجزائر العدد 17 .جانفي. 2006 . ص 06.

[5] المرجع نفسه ،ص07

[6] حفناوي بعلي:التداولية :(البراغماتية الجديدة .خطاب ما بعد الخطابة) . مجلة اللغة والأدب.ع 17 .ص53

لذلك فقد تبدو البراغماتية ملمة بكل ما يتعلق بالمجالات الاجتماعية، واللسانية والفلسفية؛ وهذا ما يبرر عناية الفلاسفة بالخطاب الممتدة إلى الفلسفة اليونانية، انطلاقا من سقراط وأفلاطون وأرسطو وصولا إلى المناطقة أمثال "فريج "،"رسل "و"كارناب" ...إلخ؛ وكذا عناية أولئك الذين يهتمون منذ أمد بعيد بآثار الخطاب على المتكلمين والمستمعين من سوسيولوجيين،وبلاغيين ،وممارسي التواصل،أمثال :بيرلمان ،ديكرو، وغيرهم.

ولئن كان "أوستين" مؤسس النواة الأولى للبراغماتية رفقة تلميذه "سيرل" من خلال اهتمامهما بمفهوم العمل بالقول، أو ما يعرف "بالأفعال الكلامية"، فإن التفاف الدارسين بهذا المفهوم امتد إلى غيرهم ممن رأوا أن البراغماتية «هي اختبار حقيقة سلوك ما من خلال المحاسن التي تنتج عنه ...»[7]؛ بينما انطلق " تشارلز موريس" من التمييز بين النحو (syntaxe) والدلالة (sémantiquee) والتداولية (pragmatique)، فرأى أن التداولية «يقصد بها كل ما يتعلق بمظاهر استعمال اللغة و خصائصه ... أي الحوافز النفسية للمتكلمين وكذا النماذج الاجتماعية وموضوع الخطاب وغير ذلك ...في مقابل المظهر التركيبي ،الذي يعني بالعلاقات التركيبية الشكلية، والمظهر الدلالي الذي يعنى بالعلاقات القائمة بين مدلول الوحدات اللغوية والواقع » [8].

لذلك فقد اتخذت التداولية بالنظر إلى توجه الباحثين تعاريف كثيرة، إذ عرّفت من منظور من اهتم بدراسة المعنى في السياق التواصلي بأنها «دراسة المعنى التواصلي،أو معنى المرسل في قدرته على إفهام المرسل إليه بدرجة تتجاوز معنى ما قاله »[9]، في حين تعرف التداولية من وجهة نظر المرسل بأنها « كيفية إدراك المعايير والمبادئ في توجهه عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية، في ضوء عناصر

---

[7] حفناوي بعلي: التداولية (البراغماتية الجديدة ،خطاب ما بعد الخطابة) .مجلة اللغة والأدب ع 17.ص53.

[8] المرجع نفسه.ص ن.

[9] نقلا عن عبد الهادي بن ظافر الشهري :استراتجيات الخطاب . ص21.

السياق،بما يكفل له ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده وتحقيق هدفه»[10].

هذا و يعترف "كارناب" "التداولية" أنها درس غزير وجديد، بل يذهب إلى أكثر من هذا بتأكيده على أنها قاعدة اللسانيات، إذ أنها محاولة للإجابة عن أسئلة تطرح نفسها ولم تجب عليها المناهج اللسانية الأخرى[11]؛ مثل :«ماذا نصنع عندما نتكلم ؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم ؟ لماذا نطلب من جارنا حول المائدة أن يمدنا بكذا، بينما في مقدوره أن يفعل ؟ فمن يتكلم إذن؟ وإلى من يتكلم ؟... ماذا علينا أن نعمل حتى يرتفع الإبهام عن جملة؟...كيف يمكننا قول شيء آخر غير ما كنا نريد قوله ؟هل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصد ما؟»[12].

لذلك فقد تعددت تطبيقات هذه النظرية، كما تعددت مباحثها، إذ حاول الباحثون الاستفادة منا في طرق تعليم اللغات الأم، وفي تعلمها ،وفي تعليم اللغات الأجنبية، بل حتى في الدراسات المقارنة بين اللغات التي تنتمي إلى ثقافات متباينة، وفي بحث آليات إنتاج الخطاب من خلال البحث عن أفضل طريقة ينتهجها المرسل ليصدر خطابا يؤثر به في المرسل إليه، في الوقت الذي يبحث فيه المرسل إليه عن أفضل طريقة للوصول إلى مقاصد المرسل كما يريدها عند إنتاج خطابه لحظة التلفظ .

ولا يتأتى ذلك إلا من خلال استخدامات لغوية تجسد هذه المقصدية التي لا يقتصر دورها على وظيفة وصف الواقع ،أو نقل الخبر، بل تتعداها إلى إنجاز أعمال اعتمادًا على ما يتلفظ به، لذلك فإن الاستعمال الخاص للغة هو ما يخرجها من حالة السكون على نوع

---

[10] عبد الهادي بن ظافر الشهري:استراتجيات الخطاب .ص22.

[11] وخاصة النظرية النحو التوليدي، للاستزادة ينظر: المعايطة ريم فرحان عودة: براغماتية اللغة ودورها في تشكيل بنية الكلمة.دار اليازوردي العلمية للنشر التوزيع.الأردن.د/ط.2008.ص05.

[12] أرمنيكو فرانسواز :المقاربة التداولية .تر/سعيد علوش.مركز الانماء القومي .الرباط.د/ط. 1986.ص07.

من الحركية، لا تتبلور عبر قواعد تجريدية كما هو الحال في النحو، بل عبر كفاءة تلم بكل عناصر السياق.

لذلك فقد أكد" ليفنسون" على أن السبب الأول لظهور هذا المنهج هو تقصير المناهج اللسانية السابقة في دراسة اللغة من جانب استعمالها ومستعملها، وكذا من جانب ما يترتب عنها من وظائف اجتماعية مختلفة، وحصرها في جانب تجريدي خالص لا يتعدى الملكة الذهنية وهو ما يجعل المعنى محصلة لجملة من العناصر السياقية التي تتقاطع فيها آثار عدة يجلبها الخطاب ،هذا الأخير الذي يتعدى الإفهام إلى ابتغاء إحداث تغيير في سلوك المخاطب بطريقة أو بأخرى .

تجدر الإشارة إلى أن أول من استخدم مصطلح التداولية كمقابل لمصطلح البراغماتية هو"طه عبد الرحمن "في كتابه " في أصول الحوار وتجديد علم الكلام "،إذ قال:«وقع اختيارنا على مصطلح التداوليات مقابلاً للمصطلح الغربي براغماتيقا لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالاته على معنى الاستعمال والتفاعل معاً ...»[13]؛ وهو مصطلح يبدو أنه«قد حظي ولاشك بالإجماع والتداول »[14]، وإن فضل بعض الباحثين استخدام مقابلات أخرى مثل: الذرائعية،البراجماتية ،النفعية ، الوظائفية، وعلم التخاطب...إلخ.

ولاختصار أهم النظريات المنضوية تحت مظلة النظرية الأم (التداولية)، التي تبنت مبادئها وطورتها من خلال التركيز على دراسة زاوية معينة،نورد هذا المخطط التوضيحي[15]:

---

[13] طه عبد الرحمن : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام . ص22.

[14] إدريس مقبول :الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سبويه .عالم الكتب الحديث ودار الكتاب العالمي. الأردن.د/ط. 2008 ص262.

[15] نقلاً عن مسعود صحراوي: التداولية عند العرب– دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني– دار الطليعة للطباعة والنشر .بيروت.ط1. تموز 2005.ص45.

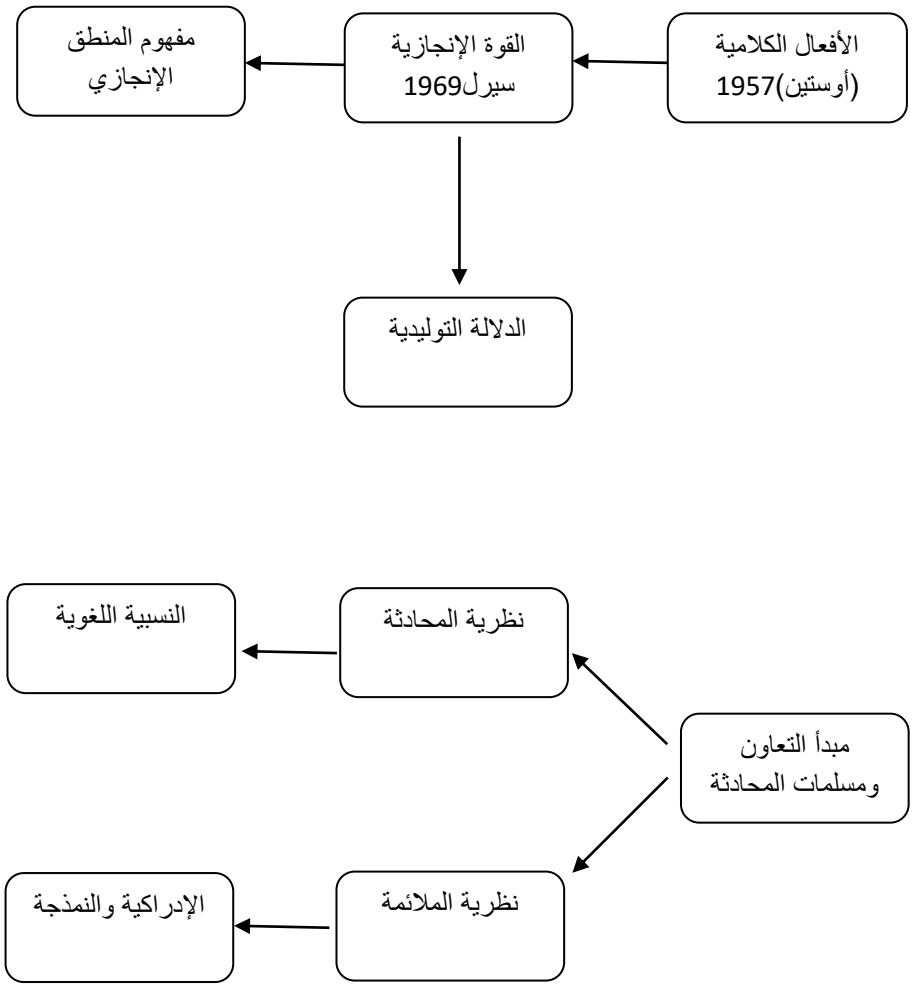

-مخطط يمثل أهم النظريات التداولية-